مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
ISSN : 2353-0529 EISSN 2600- 643X
المجلد 9 / العدد: 04 (2021)، ص 42 - 57

أصول المعرفة التكاملية من خلال مفهوم الكلي الفلسفي

The cognitive integration roots through the holistic approach

د. محمد عبد النور[1]، إبراهيم لهزيل[2]

[1] جامعة غرداية، abdennour.mohammed@univ-ghardaia.dz

[2] جامعة غرداية، Ibrahim.lehziel@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 2021/10/23 تاريخ القبول:2021/10/26 تاريخ النشر : 2021/12/21

ملخص:

إن الحديث عن التكامل المعرفي على أنه يجمع بين العلوم وأنه عملية ترابطية من خلال وصل العلم والعمل، وكذا المفاهيم الفلسفية التي ساهمت في عملية التكامل المعرفي وأبرزها المفهوم الكلي الفلسفي الذي يعتبر مفهوما دالا على التكامل المعرفي من خلال تتبع المسار التاريخي للمعرفة وتحولات الكلي من الواقعية إلى الاسمية، وكذا واقعية الكلي في الفكر الإسلامي والفكر اليوناني، ويعرف الوقت الحالي تغيرات جذرية في طبيعة المعرفة البشرية، وبفضل الاجتهادات توسعت آفاق الكلي الإسمي كمفهوم للمعرفة التكاملية لتندرج ضمن معطيات الطبيعة، فمن هنا حصل توحيد المعرفة من جديد وتنهي معها كل التقابلات والثنائيات وإحالته الى رؤية توحيدية تكاملية.

كلمات مفتاحية: التكامل المعرفي، الكلي الفلسفي، المعرفة

Abstract:

Talking about cognitive integration as combining science and being a process of interdependence between science through the connection of science and work, as well as philosophical concepts that contributed to the process of cognitive integration, most notably the total concept of philosophical, which is a thought indicative of cognitive integration by tracking the

historical course of knowledge and the total shifts from realism to nominal as well as the total realism in Islamic thought and Greek thought. at present, radical changes are known in the nature of human knowledge, and thanks to jurisprudence, the prospects of nominal totality have expanded as a concept of complementary knowledge to fall within the data of nature, hence the reunification of knowledge again and the end of all encounters and dualities and its referral to an integrative unifying vision .

Keywords: cognitive integration, philosophical Holistic , knowledge**.**

المؤلف المرسل: د. محمد عبد النور

1. مقدمة:

إذا أخذنا التكامل المعرفي كمفهوم مطلق عن تحيزه التاريخي والاصطلاحي وجدنا أنه تعبير عن النزوع إلى وحدة المعرفة وتجاوز تشتت المعارف، ومن ثم يكون التكامل المعرفي محدّد منهجي يراد من خلاله إقدار العقل على محايثة حقيقة الوجود تسليما بأنها حقيقة كُلية لا يمكن إدراكها إلا بتصور جامع ومانع، ذلك ما يجعل من التكامل المعرفي دليلا تجريديا على صحّة المنهج رغم أنه مفهوم لا واقعية فيه، ومن ثم فإن التكامل المعرفي يصبح مطلوبا لذاته كأداة منهجية توظف على سبيل تجاوز التجزؤ المعرفي وبالتبع يكون كبوصلة فكرية محصّنة من التيه المعرفي أيضا.

لذلك كان التكامل المعرفي بمعناه الدقيق المنهج الأعمق الذي يصوغ "السنن الفكرية" للعقل الإنساني، فإذا تجاوزنا العائق الاصطلاحي وجدنا أن فكرة وحدة المعرفة كانت أول وأهم مشكلة في نظرية المعرفة الإنسانية، لذلك فهي رغم قدمها ما تزال حاضرة في جوهر الممارسة النظرية والعلمية للبشر، سواء بشكل

ضمني أو صريح، وقد اصطلح على المشكلة منذ بداياتها اليونانية بإشكالية الكلي، فكيف ظهرت إشكالية أو مفهوم الكلي وما منزلته في المعرفة؟

1. الدلالة الاصطلاحية للتكامل المعرفي:

قبل الدخول في علاج الإشكال، من المهم أن نتوقف عند دلالة التكامل المعرفي الاصطلاحية كما صيغ في أدبيات أسلمة المعرفة، إذ حاول فتحي الملكاوي استعراض أهم دلالات التكامل المعرفي منطلقا من المعنى الموسوعي الذي يشير إلى أنه الإلمام بعدة علوم كثقافة عامة إضافة إلى التخصص في مجال أو اثنين، إذ أصبحت الثقافة التخصصية في عصرنا وإضافة إلى تفرع العلوم أيضا عائقا عن التخصص في أكثر من علم؛ كان التكامل قديما يشار به إلى الترابط بين العلم والعمل. ثم حصلت محاولات بناء التكامل بين المبادئ والنظريات والبحوث العلمية وتطبيقاتها من جهة أخرى، كحاجة الفيزياء إلى الرياضيات، والبيولوجيا إلى الكيمياء، حيث ظهرت العلوم البينية التي تؤكد اعتماد الواحد منها على الأخرى (عكاشة 2012، 20).

أيضا استحضر الملكاوي محاولة سي بي سنو حوالي منتصف القرن العشرين حول انفصال العلوم الانسانية عن العلوم الطبيعية، ورأى أن كل فئة تملك ثقافة خاصة بها مستقلة عن الأخرى، فكتب تقريره المعروف والمنشور بعنوان "الثقافتان" داعيا إلى التكامل بينهما؛ كما يحضر مفهوم التكامل المعرفي بقوة في برامج المؤسسات التعليمية ومناهجها فتأخذ القضية بعدا تربويا تعليميا، أيضا رأى ملكاوي أن التكامل المعرفي قد يصنف في الحقل الفلسفي أو في فرع أو أكثر من فرو ع الفلسفة مثل علم الوجود، وعلم المعرفة وعلم القيم، بحيث يأخذ في تلك الحالة بعدا نظريا تجريديا، (عكاشة 2012، 20 21)، وتشكل هذه المقاربة الأخيرة المتعلقة بالجانب الفلسفي للتكامل المعرفي التناول الأقرب لموضوع هذا البحث الذي سيركز على أصل المعرفة النظرية منذ نشأتها إلى غاية اللحظة

الراهنة ومكانة فكر الكلي فيها باعتباره المفهوم الأعمق الدال على التكامل المعرفي كما أتصوره.

1. 1 مبدأ التكامل المعرفي و ظهور العلم النظري:

تُسند نشأة المعرفة النظرية في التاريخ البشر ي إلى الحضارة اليونانية، وذلك لكونها حازت جملة التراكمات العلمية والمعرفية لحضارات الشرق الأدنى بعد حصول التلاقي والتلاقح بينها أثناء الغزو المقدوني للشرق الأدنى، لذلك فإن النقلة النوعية التي عرفتها المعرفة البشرية ما بين حضارات الشرق الأدنى والحضارة اليونانية تمثل في تحوّل الاشتغال بالعلم والمعرفة من مهنة وظيفية مباشرة إلى اشتغال شبه رمزي يفيد في مراكمة المعرفة بشكل نظري دون التفات إلى العائد العملي، بمعنى أن المهندس مثلا في الحضارة الفرعونية كان يُعمل فكره في كيفية بناء المعابد والأهرامات، ولم يكن يرد على ذهنه التفكير في صياغة معادلات هندسية صالحة لكل زمان ومكان.

فالنقلة النوعية التي عرفتها المرحلة اليونانية جاءت تحصيل للتراكمات التي حصلت في حضارات الشرق الأدنى: بداية من اكتشاف الحروف الأبجدية ووصولا إلى علم الحساب، بينما ركّز اليونانيون على اكتشاف القوانين الضابطة للغة وهو ما تجلى في علم المنطق والقوانين الضابطة للحساب وهو تجلى في الرياضيات، حتّى أمكن تلخيص جوهر الإسهام اليوناني في تاريخ المعرفة البشرية بأنه عملية تجميع وتصنيف وتبويب وأخيرا وهو الأهم البحث عن الوحدة الناظمة لكل المعارف؛ ذلك أن البحث عن القوانين الخفية الناظمة للفكر في المنطق والرياضيات هو جوهر البحث عن الكلي الذي يتجاوز الأجزاء.

مما تقدّم يمكن الانتهاء إلى ميزتين رئيستين وسمتا المعرفة اليونانية هما:

أصبحت المعرفة وظيفة رمزية مستقلة: حيث أصبح لها رجال متفرغون يمارسونها، فاستقلّت عن ارتباطها بالدين معرفيا ومؤسسيا، بحيث صارت تمارس

في أكاديميات مستقلة فضلا عن اعتمادها على الاستدلال العقلي بديلا عن النصوص الدينية ذات الطابع الإملائي.

أصبحت المعرفة تأملية واستكشافية: بعد أن كانت المعرفة تمارس لتحقيق مطالب عملية أصبحت تبحث عن المجهول والمختفي وراء مظاهر الحياة، ولتحقيق ذلك كان لابد من الاستعانة بأداة التأمّل في الذات التي تشير في أحد معانيها إلى محاولة التعرف إلى طبيعة تصوراتنا واختبارها، وهو ما تجسّد في فكرة الفلسفة التي تولّدت في سياق البحث عن الحقيقة عند اليونان.

2.1 الفلسفة مقابل السفسطة:

لكن المعرفة اليونانية اصطدمت في بداياتها بالسفسطة التي أصبحت نقيضا للفلسفة، فرغم أن السفسطة كانت تعني في بدايتها التعليم العالي الذي دعت إليه الحاجة، إلا أنه اقتصر على تعليم: 1- فن الخطابة، وكذا، 2- فن النجاح في الحياة، (أرمسون 2013، 191) وفي الوقت ذاته تشكك السفسطائيون في العقل ومبادئ الأخلاق الأمر الذي جعل سقراط يدخل معهم في معركة فكرية. (كرم 2014، 22)

فقد عُني سقراط بإصلاح ما أفسده السفسطائيون انطلاقا من مناقضته لهم بإيمانه بالماهيات وأن لكل شيء طبيعة تمثل حقيقته التي يكتشفها العقل من وراء العوارض المحسوسة، وغاية العلم عنده هي إدراك الماهيات من خلال تشكيل معان تامة في العقل، فكان يجتهد في تحديد معاني الألفاظ بحدود جامعة مانعة، ويصنف الأشياء إلى أجناس وأنواع تمنع اختلاط المعاني في الأذهان، بينما كان السفسطائيون يستثمرون في تداخل الحدود وغموض المعاني، ويتهربون من تحديدها وتدقيقها هربا من انكشاف المغالطات. (كرم 2014، 70).

فكان سقراط أول من بحث عن "الحد الكلي" بإلحاح واستمرار وسعى لاستكشافه بالاستقراء، ولقد كان لاستكشافه الحد والماهية أكبر الأثر في مصير

الفلسفة (كرم 2014، 70)، فقد شغل سقراط نفسه بمكارم الأخلاق والفضيلة بوصفها غاية الفلسفة، فكان أول من أثار "مشكلة التعريف التام"، واعتبر أن كلا من: 1- الدليل الاستقرائي، و2- التعريف التام هما نقطتا البدء في العلم، واعتبر أن القيمة الكبرى لنضاله الفلسفي تتمثل في دفاعه عن العقل باعتباره المثل الأعلى وفي تصوره الرفيع والواضح لما يتطلبه العقل (أرمسون 2013، 187 190).

2. مركزية مفهوم الكلي في الفلسفة:

واصل المهتمون بالحقيقة المعركة ضد السفسطة بإنشائهم مراكز دائمة للتعليم العالي مثل مدارس أفلاطون وارسطو، حتى نجحوا في سعيهم باختفاء السفسطائيين في القرن الرابع قبل الميلاد، حيث لم يهتم السفسطائيون بالحقيقة والبحث عنها كما أنهم اعتمدوا طريقة التجول في الأماكن العامة والتنقل بين المدن لتعليم الطلاب الخطابة وفن النجاح، فنجح أرسطو وأفلاطون في وصم السفسطائيين بأنهم يعلمون فن النجاح بينما هم يعلّمون فن المعرفة، كما وصموهم بالتهاون في تعليم القيم العليا. (أرمسون 2013، 191).

بهذا نكون أمام صورة واضحة عن تكوّن فكرة الكلي الفلسفي بوصفها الرافد الذي التقت فيه مصبات (أو نقلات) أربع:

1- الانتقال من العلم التطبيقي إلى العلم النظري.

2- الانتقال من المعرفة النصية إلى المعرفة العقلية.

3- الانتقال من فن الخطابة وحيل النجاح إلى بحث الحقيقة.

4- الانتقال من عقل الممارسة إلى عقل النظر.

ذلك ما يجعل من الكلي المعلوم معرفيا في الأذهان والقائم وجوديا في الأعيان، محور كل تفكير علمي وفلسفي، تفكير علمي من حيث هو صورة المعلوم وعلم صورة المعلوم، وتفكير فلسفي من حيث صورة الموجود وعلم صورة

الموجود، كما جعل من الكلي المعمول عمليا في السلوك والقائم وجوديا في الأخلاق محور كل تفكير علمي وفلسفي، تفكير علمي من حيث هو صورة السلوك وفي علم صورة السلوك، تفكير فلسفي من حيث هو صورة الوجود الخلقي وعلم صورة الوجود الخلقي (المرزوقي 2001، 12).

حسب الخويلدي الكلي اصطلاح بالغ الالتباس، ولقد كتب له أن يساء فهمه، أما البعد المميز للكلي هو العمق وليس الاتساع والامتداد، ولا يشير المعنى الفلسفي للكلي بالضرورة إلى الكون بالمعنى المادي، بل يدل على مجموعة معينة من الأشياء والأفكار، والعلم الكلي هو المعرفة التي تشمل كل شيء، وقال أرسطو لا علم إلا بالكلي، أي أن العلم الصحيح يقتضي القدرة على استيعاب الكلي، حيث الكلي هو العالمي الممتد في الكون كله شامل لجميع الكائنات ومتصل بها (الخويلدي 2009).

2. 1 الدلالة المعجمية والاصطلاحية للكلي:

الكل في اللغة اسم لمجموع أجزاء الشيء وهو يستغرق كل أفراده، والكل قسمان:

1- كل من حيث هو شامل للأفراد دفعة واحدة.

2- كل هو المحيط بشكل انفرادي بكل أجزاء المعنى.

وإذا دخل لفظ كل على القضية دل على مقدار الحصر ويسمى سورا كالقول: كل إنسان فان. إذن فالكل يدل على الاستغراق التام لجميع أفراد الموضوع، قال ابن رشد: "الكل يدل به على الذي يحوي جميع الأجزاء وليس يوجد خارجا عنه شيء وهو بالجملة مرادف لما يدل عليه اسم التمام بالوجه الأول من أوجه دلالته..." (صليبا 1982، 233).

ويميز صليبا بين الكل والكلي فيقول بأن الكل مقابل للجزء، بينما الكلي مقابل للجزئي، فالكل ينقسم إلى أجزائه والكلي ينقسم إلى جزئياته، الكل يتقوّم

بالجزئيات كتقوم الماء بالهيدروجين والأكسجين، أما الكلي فإنه لا يتقوم الجزئيات فلا شيء من الكل موجود بالخارج، وجزئيات الكلي غير متناهية (صليبا 1982، 233 234).

قال ابن سينا: "اللفظ المفرد الكلي هو الذي يدل على كثيرين بمعنى واحد متفق، إما كثيرين بمعنى متفق، إما كثيرين في الوجود كالإنسان، أو كثيرين في جواز التوهم كالشمس، وبالجملة الكلي هو اللفظ الذي يمنع مفهومه أن يشترك في معناه كثيرون، فإن منع من ذلك شيء فهو غير نفس مفهومه" (صليبا 1982، 238)، والكلي قسمان: 1- الكلي الحقيقي: وهو المفهوم الذي يتمنع على مشاركة أي فرد آخر له، 2- الكلي الإضافي: وهو يندرج تحته فرد آخر في نفس الموضوع (صليبا 1982، 239).

2.2 تحولات الكلي من الواقعية إلى الإسمية:

لقد ثارت منذ البداية سؤال هل الكليات موجودة فقط في الأذهان أم في الأعيان، وهذا ما أثار الإشكال حول حقيقة التصورات: طبيعتها، وظيفتها والعلاقة بين الجزئي والكلي، كما أثار إشكال الحقيقة: معايير الحقيقة، التناظر بين القول وما صدقه، كما ثار إشكال طبيعة اللغة وعلاقتها بالأشياء: هل هي ضرورية أم اتفاقية، ويرى دي تنكديك بأن الكلي ليس غير صيغة يكثف بها الفكر حاصل حدوساته التجريدية ويختزلها ، ولا تكون هذه الصيغة خاطئة لكنها تشترط حسن التقدير بحيث لا يجب أن تتجاوز التعبيرات الصورية الوقائع الفعلية، أن تحاول اللغة أن تعبير بشكل دقيق عن الواقع دون زيادة أو نقصان. (الخويلدي 2009).

مقولة الكلي مقولة منطقية لكنها هاجرت علم المنطق إلى عوالم المعرفة والوجود والأخلاق، وحصل الخلاف بعدها حول ما إذا كانت الكليات موجودة في العقل أم خارجه، إذ وبعد أرسطو انقسمت الفلسفة إلى فريقين:

أصول المعرفة التكاملية من خلال مفهوم الكلي الفلسفي

1- الأول يسعى لإثبات الوجود الواقعي للكليات فتشكل فيما يسمى بالفلسفة الواقعية.

2- والثاني يرى في الكليات بأنها محض تجريدات ذهنية فتشكل فيما يسمى بالفلسفة الإسمية.

وللتأسيس لافتراق مفهوم الكلي خصص أبويعرب المرزوقي جهدا معتبرا شكّل محور إسهامه الفكري، حيث هدف إلى غايتين أساسيتين هما: أولا، إعادة الفكر والفلسفة سيرتهما الأولى، والثانية بيان إسهام الحقية العربية الإسلامية في الفكر الإنساني، حيث يقرر محمد شيدوقة أن المرزوقي استشعر أن أزمة الفكر العربي الإسلامي الراهنة تكاد تذهب بما تبقى من حيوية حضارته، تسليما بأن الفكر هو المحرك الفعلي لكل حيوية حقيقة في الحضارة، بسبب اقتصار جهد التنظير على التوفيق بين تراث الماضي الأهلي وتراث الماضي الأجنبي والاكتفاء بالمحاكاة والتكرار دون القدرة على الإبداع، ومردّ ذلك عدم استيعاب إشكالية الكلي والجهل بالإسهام الإسلامي في المعرفة (شيدوقة 2010).

وللاستدلال على مركزية الكلّي وأنه حقيقة تتخفى وراء التصورات الجزئية والظاهرة يرى المرزوقي أنه إذا افترضنا أن العلم مقتصر على المعنى الفني للكلمة بالاقتصار على ما حصل من قضايا حول موضوعاته وكذا النتائج فإن ممارسة العلم تجري في ظل فلسفات مختلفة وأحيانا متقابلة ومتضادة بخصوص تصورها للكلي، وهو ما يعني أن العلم دون سبر لمبادئه المعرفية يصبح مجرد آلة عقلية مفصولة عن بعدها الابستمولوجي، بحيث يصبح التأريخ للعلم تأريخا كميا يبتعد عن المتابعة الكيفية للعلم ومن ثم الذهول عن متابعة وفهم الثورات العلمية في تاريخ الفكر الإنساني.

مفهوم الكلي هو من الضمائر المسكوت عنها في النصوص العلمية المفصولة عن أساسها الابستمولوجي، وهو الأساس الذي نجده شديد الوضوح مثلا عند ابن

سينا والغزالي، حيث يقتضي فهم التحولات الكيفية للعلم عدم حصره في القضايا العلمية الظاهرة على سطح النصوص، فالفهم العميق لتاريخ العلم يقتضي إدراك منزلة الكلي فيه وتحولاته. (المرزوقي 2001، 33 36)

2. 3 واقعية الكلي في الفكر اليوناني:

شكّل حل أرسطو لمشكلة الكلي أبرز النتائج الابستمولوجية في الفلسفة القديمة وما تلاها من الفلسفات خلال المرحلة الفاصلة بين أرسطو وبداية الفلسفة العربية، إلا أن تأرجح الحل الأرسطي بين واقعية المعقول الأفلاطوني وواقعية المحسوس السفسطائي مكن الفكر اليوناني من العودة إلى كلي واقعي ألّه المثُل الرياضية المنطقية وأله القيم السياسية التاريخية؛ إن اختيار أرسطو لحل وسط بين أفلاطون والسفسطائيين –المزج بين كون الحقيقة عامة في الأذهان وكونها حقيقة خاصة في الأعيان- جعل من الكلي ثابتا على صورته إلى الآن. (المرزوقي 2001، 11 15).

ولا يختلف الحل الأرسطي عند تمحيصه عن الحل الأفلاطوني من حيث واقعيتهما، فالكلي ليس العالم بل هو المتواطئ من حيث هو "صورة عينية" في الوجود تتراوح في وجودها بين المفارقة والمحايثة ويظل في الحالتين واقعيا، وقد سيطرت الواقعية بمنزلتيها المفارقة والمحايثة والاتجاه المتبادل بين المحسوس والمعقول باستنادها المزدوج إلى الأفلاطونية والسفسطة، حيث امتدت تلك السيطرة على الفلسفة القديمة والوسيطة إلى حدود الانقلاب الإسمي داخل الفلسفة العربية الإسلامية.

2. 4 إسمية الكلي في الفكر الإسلامي:

إن المسألة المركزية والجوهرية في المعرفة الإنسانية التي أصبحت بؤرة الجدل الفكري والفلسفي في الحقبة العربية الإسلامية مفادها كما يلي: ما طبيعة المنزلة الوجودية للكلي؟

أصول المعرفة التكاملية من خلال مفهوم الكلي الفلسفي

فقد تجاوزت الحقبة العربية الإسلامية سؤال الوصل بين الأفلاطونية والسفسطة التي وحّدها أرسطو وأصبح الاختلاف متمركزا حول الاختيار بين الأفلاطونية المحدثة وبين الحنيفية المحدثة، الأولى من حيث هي قائمة على مبدأ واقعية الكلي والثانية من حيث قائمة على مبدأ إسمية الكلي، حيث قام الجدل حول بعض العقائد الجوهرية هي: 1- حرية الفعل الإلهي، 2- شخصية الروح وخلودها، 3- حدوث العالم وفنائه. (المرزوقي 2001، 20).

وهي جميعها عقائد لا يمكن التوفيق بينها وبين واقعية الكلي بمعناها اليوناني، ومثّل علاج هذه المعضلات المميز الأساسي للحقبة العربية الإسلامية من تاريخ العقل الإنساني، ففي الحقبة العربية الإسلامية من تاريخ الفكر حدث اتصال وانفصال بين الأفلاطونية والحنيفية أدى إلى إحداث النقلة في مفهوم الكلي من الواقعية إلى الإسمية (المرزوقي 2001، 20 21).

إذ وبالإضافة إلى العامل الفلسفي تدخّل العامل الديني في تحديد منزلة الكلي من خلال العامل العقائدي كما تمثل في الحنيفية المحدثة أو الإسلام التي كانت حسب المرزوقي نتيجة لعلاقة التوتّر التي أحدثها القرآن بين التوراة والإنجيل اللذان جعلا من الحنيفية المحدثة أمرا ممكنا قبل تحققه في الإسلام، وأن الإسلام أحدث التوتر اللازم بينهما، وهو ما فتح الطريق للتخلّص من الواقعية الأفلاطونية المحدثة بما هي عائق فكري حاول الفكر العربي الإسلامي التخلص منه بذريعة البحث عن جوهر الفلسفة وتمييزه عن عوارضها (المرزوقي، إصلاح العقل في الفلسفة العربية 1996، 25).

وقد انتهى الأمر بالكلي إلى الواقعية لأن منزلته قد حصرت في تقاطب الواقعيتين الأفلاطونية والأرسطية ما جعل الحل الفلسفي يتحول إلى عقائد مطلقة وليس مجرد حلول اجتهادية مؤقتة لتيسير مسائل النظر والعمل في الدين

والفلسفة، ذلك ما أدى إلى استحالت الفكر بشقيه النظري والعملي مجرد شرح وتقليد للفلسفة القائمة على الكلي الواقعي.

ويرى المرزوقي أنه إذا كان فهم الطريقة العقدية للحل ممكنا في الفكر الديني لكونها من مقتضيات منطق المقدّس فإنه من العجيب أن يحصل ذلك في الفكر الفلسفي، ويرد ذلك أبو يعرب إلى منافسة الفلاسفة الزعامة الروحية التي يحوزها رجال الدين، وذلك إلى غاية ثورة الحنيفية المحدثة النافية نفيا مطلقا للزعامة الروحية واستبدالها بسلطة الاجتهاد، فكان المدخل إلى ذلك نقض واقعية الكلي وتأسيس الكلي على الإسمية وهو الجهد الذي قام به حسب المرزوقي كل من ابن تيمية وابن خلدون (المرزوقي، إصلاح العقل في الفلسفة العربية 1996، 26).

ولإيضاح المقصود بالإسمية لابد من استدعاء فكرة السببية عند الغزالي، وملخّصها أنه القوانين التي يصوغها الفكر عن الواقع ليست هي الواقع ذاته، فضلا عن تكرر الظواهر اليومية مثل طلوع الشمس وغروبها هو تكرر إمكان لا تكرر ضرورة، ومن ثم فالقوانين العلمية مبنية على الرجحان لا على الحتم (أنظر: أبويعرب المرزوقي، مفهوم السببية عند الغزالي).

2. 4 الفلسفة الإسمية في المعرفة الحديثة :

عادت مشكلة التصورات في العصور الوسطى خلال الفترة 09 و 11، فبينما كانت الأفلاطونية سائدة انتفض روسلان باسم الإسمية على الواقعية مؤكّدا على أن لا وجود واقعي إلا للأجزاء، حيث رأى روسلان بأن الماهيات والكليات ليست إلا اسماء، فالإنسانية مثلا ليس لها وجود حقيقي إنما يمثلها الأفراد؛ وبعد تراجع عن الإسمية عند أنسلم، نهض الأوكامي بالإسمية من جديد واعتبر أن الكلي ليس إلا وهما، ولا يمكن أن يكون له وجود واقعي وهو من ثم غير قائم في الخارج، ولا وجود له إلا في الأذهان، كما كان أبيلارد أقرب إلى الإسميين رغم موقفه الوسط (رضا 2015، 166).

بانتهاء فترة العصور الوسطى فقدت مشكلة الكليات صدقيتها واستمر الحال على ذلك إلى أن جاء باركلي الذي حمل لواء الإسمية، لكن ليس تحيزا للكليات، لكن تمهيدا منه للهجوم عليها، وقال بأن الأفكار المجردة ليست إلا أوهاما وقرت في عقول الفلاسفة على أنها حقائق، وعلى منواله نسج لوك في رفضه لمقولة الأفكار الفطرية سعيا منه لتأسيس المعرفة الصحيحة (رضا 2015، 167).

إن الفلسفة الحديثة كلها إسمية، وبهذا المذهب أحدث ديكارت انقلابا خطيرا في عالم الفكر من حيث كونه نظرة العقل إلى طبيعته، فحصرت الفلسفة دائرتها في الفكر فأصبحت تأليفا ذاتيا بمثابة فن، انقسم المفكرون قسمين أحدهما يأخذ بالعلم فيرد الفكر إلى حركة مادية، وآخر منحاز إلى الفلسفة يرد المادة والحركة إلى الفكر، وما تزال هذه الثنائية والمشكلات الناجمة عنها قائمة إلى اليوم (المكتبة الشاملة بلا تاريخ).

3.خاتمة:

إذا محّصنا مسار المعرفة النظرية التي انطلقت من فكرة الكلي بوصفها التسمية الفلسفية لثبات المبادئ والحقيقة، وجدنا أن فكرة التكامل المعرفي انطلقت من جدل الفلسفة مع السفسطة "النافية للحقيقة" في الطور اليوناني، ثم استحالت إلى الجدل بين الإسمية والواقعية القائلة بـ"التصور الواقعي" في طور المرحلة العربية الإسلامية، حيث فصلت الإسمية بين التصور والواقع لتجعل من العلم مجرد اجتهادات في فهم الحقيقة دون احتكار أو تقديس لها، وانتهت أخيرا إلى الجدل بين المثالية والتجريبية النافية لـ"القبليات الفكرية" في طور المعرفة الحديثة، ذلك أن المثالية ميزت بين العقل والواقع بشكل صارم فكانت امتدادا للإسمية من رغم أنها أيضا كانت حاضرة عند التجريبيين، حيث يصبح القول بأن الفكر الحديث كله إسمي.

فكان دور المرحلة العربية الإسلامية مركزيا في تخليص المعرفة الإنسانية من التقديس والجمود وفتح أفقها على نسبية الاجتهاد في المعرفة الدينية منها أو الفلسفية.

كما تعرف اللحظة الراهنة تحولات جذرية في طبيعة المعرفة البشرية تحولا يستصحب معه الكلي الإسمي، فبفضل بعض اجتهادات توسعت آفاق الكلي الإسمي لتندرج ضمن معطيات الطبيعة ويصبح من مشمولات السلوك الغريزي للعقل البشري، بحيث يغدو التفكير ومهما كان واعيا وحاضر البديهة حالة متقدمة من التكيفات الساعية للبقاء بداية والسيادة غاية.

هكذا حصل توحيد المعرفة مجددا بطريقة تنهي التقابلات والثنائيات التي أضنت العقل البشري بإحالته إلى رؤية توحيدية وتكاملية تنفي التجزؤ الظاهري للمعارف والتجزؤ الباطني للتصورات الكلية، فتغدو المعرفة التكاملية قائمة على مفاهيم ثلاث: الكلية، الإسمية، الحيوية.

- الكلية: كلية التصورات بديلا عن نفي الحقيقية، بإثبات وجود الحقيقة.
- الإسمية: إسمية التصورات بديلا عن جمود الحقيقة، الحقيقة أمر متحرّك لا ثبات نهائي فيه.
- الحيوية: الوجود العضوي، بديلا عن عقلانية الحقيقة، الوعي اتصال علاماتي غريزي غير قصدي.

والوعي بهذه المفاهيم المركزية الثلاث في مجال المعرفة سيحرر العقل من الارتهان إلى بعض النماذج الاجتهادية واعتبارها هي ذاتها العلم، وكذا التحرر من اعتبار العقل مقتصرا على الكائن البشري رغم ظهور البين عند الإنسان وخفائه عند المتعضيات، كما ستؤسس في الأخير لمناهج تعليم جديدة محررة لطالب العلم وللبحث العلمي عموما في حال أخذها كمنطلقات بيداغوجية في عملية التدريس في التعليم العالي.

5.قائمة المراجع:

أولا الكتب:

1- المرزوقي، أبويعرب. إصلاح العقل في الفلسفة العربية. الطبعة الثانية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996.

2- المرزوقي، أبويعرب. تجليات الفلسفة العربية منطق تاريخها من خلال منزلة الكلي. دمشق: دار الفكر، 2001.

3- جوناثان ري، ج أو أرمسون. الموسوعة الفلسفة المختصرة. ترجمة فؤاد كامل، وآخرون. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2013.

4- عكاشة، رائد جميل. التكامل المعرفي في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية. هرندن فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2012.

5- صليبا، جميل. المعجم الفلسفي. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982.

6- كرم، يوسف. تاريخ الفلسفة اليونانية. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014.

ثانيا: الدوريات والمواقع الالكترونية:

1- رضا، نقاز، محمد. «النزعة الإسمية في الفلسفة الانجليزية مع جورج باركلي.» مجلة أبعاد، 01 2015: 162 -187.

2- الخويلدي ,زهير، ماهي الآفاق التي تنفتح أمام الفلسفة عندما تتساءل عن الكلي؟ 27 09 2009. .

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=185972&r=0 (accès le 03 20, 2019).

3- المكتبة الشاملة .تاريخ الفلسفة الحديثة .s.d .

http://shamela.ws/browse.php/book-8646/page-82 (accès le 03 19, 2019).

4- شيدوقة ,محمد .الكلي في فلسفة أبي يعرب المرزوقي .2010 04 25 .
http://www.alhiwar.net/ShowNews.php?Tnd=6440 (accès le 03 18, 2019).